جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر

ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 30. العدد. 03. السنة. 2026.

مجلة المعيار
EL MIEYAR

نقد النقد: قراءة في التأسيس النظري و معوقات التحقق الإجرائي

Meta-Criticism: Theoretical Foundations and Methodological Challenges

العزوني فتيحة[1]
Lazouni.fatiha@univ-oran1.dz

تاريخ الاستلام: 2026/03/25 تاريخ النشر: 2026/06/11
Received: 25/03/2026 published: 11/06/2026

ملخص المقال :

يعدّ نقد النقد مرحلة أكثر تطورا من الوعي النقدي، فهو لا يُقتَصر فيه على تحليل النصوص الأدبية، إنما يهتم بالخطابات النقدية ذاتها، سعيا نحو تفكيك مرجعياتها، ومساءلة بنيتها المفهومية والمنهجية. هو إذن ممارسة تأملية تقوم على توصيف ومعاينة المسلّمات التي تحكم الممارسة النقدية، ورصد آليات اشتغالها، وكشف علاقتها بالسياقات الثقافية والمعرفية التي تُنتج داخلها. وعليه ، يُعدّ نقد النقد عملية إلزامية تواكب تطوّر النظرية الأدبية وتدفع بحركة النقد نحو التجدد والتجاوز .

يواجه نقد النقد الكثير من المعوقات تحول دون انتظامه كمجال علمي مستقل؛ لعل أهمها ضبابية حدوده، وتداخله مع مفاهيم أخرى، وافتقاره لأدوات خاصة به، فضلا عن طغيان التوجه الفردي لدى الممارسة الناتج عن ضعف الحوار بين النقاد، وغياب التراكم المعرفي، هذه العوامل مجتمعة وغيرها مما لا يسع المقام إلى ذكرها تُعيق تماسك بنيته . لكن على الرغم من ذلك ، يظل نقد النقد أفقا واعدا لتطوير مبحث النقد المعرفي والمنهجي ، وتعزيز الوعي بثقافة الاختلاف والتأويل .

كلمات مفتاحية: نقد النقد ،المعوقات ،التراكم ، المنهجيات ،المفاهيم.

Abstract:

Meta-criticism faces several challenges that prevent it from consolidating as an autonomous scholarly field. These include the ambiguity of its boundaries, its overlap with related concepts, the absence of specific methodological tools, and the predominance of individual critical practices shaped by limited dialogue and weak cumulative knowledge production. Such factors hinder its structural coherence and theoretical stability.

Nevertheless, meta-criticism remains a promising avenue for advancing critical inquiry at both epistemological and methodological levels, while fostering reflexive awareness and promoting a culture of interpretive plurality and intellectual dialogue.

Keywords: *Meta-criticism; Obstacles; Conceptualization; Methodology; Accumulation*

(1) جامعة وهران 1 (الجزائر)

مقدمة:

يشكل "نقد النقد" خطوة مهمة نحو الوعي بالنقد كمجال قابل للتطور والتجدد ، من خلال الانخراط في قراءة الخطابات النقدية ، قراءة قائمة على التفكيك والتحليل تستهدف مساءلة المنطلق المعرفي والمجال المفاهيمي والمصطلحي للأطاريح النقدية . يتجاوز نقد النقد الاشتغال على النصوص الأدبية مباشرة، موجها اهتمامه بالخطاب الذي يُنتَج حولها، متسائلا عن مدى علميته، وعن انسجامه مع تحولات النظرية، وعن ارتباطه بالبُعد الثقافي والمعرفي الأوسع.

ونطرح في مداخلتنا هذه ، "نقد النقد" كموضوع إشكالي داخل المنظومة النقدية ككل. ونصوغ جملة من الأسئلة تخدم مسعانا المعرفي وتصورنا المنهجي للبحث . فهل نقد النقد تخصّص علمي قائم بذاته، أم مجرّد نشاط تأمّلي يعيد النظر في مسارات الممارسة النقدية؟ ما هي أدواته وآلياته التي تميّزه؟ ثم كيف يمكن له أن يؤسس لنفسه خطابا منتظما يرقى إلى مستوى ما تتطلبه العلوم الإنسانية المعاصرة؟ وما هي المرجعيات التي يستند إليها ؟

نستند في تثوير هذه الإشكالات على منهج وصفي–تحليلي ، وما نتوخاه هو الوقوف على تمفصلات المفهوم تاريخيا ، ورصد التحوّلات المنهجية التي لحقته ، وتحليل بنيته وآلياته ووظائفه، وكشف العوامل التي تعيق انتظامه. وتتفرع الدراسة على عدد من المحاور القصد من ورائها بلوغ المقاصد المعرفية ، منها ضَبْطنا لحدود ووظائف المفهوم، ومعرفة أدواته الإجرائية ، والوقوف على علاقته بتاريخ النقد، ثم الكشف على أبرز معوّقات تشكّله كمجال مستقل.

1. النقد الأدبي: مجال معرفي إشكالي وديناميكي:

النقد الأدبي مجال معرفي إشكالي بطبيعته، من حيث كونه لا يستقر على حدود مفاهيمية ثابتة ، كما لا يمكن التعاطي معه ضمن استراتيجية تحليلية واحدة . إنه مجال حيوي متحرك يمتلك قابلية التفاعل مع السياقات الفكرية والاجتماعية والتاريخية التي تحيط به (محمد برادة، 1983، صفحة 24) . فهو يتطور بتطورها، مما يفتح أفقه نحو إعادة النظر في ماينتجه عن طريق التحليل والتفكيك. ومن هنا، فإن أي مقاربة للنقد لا يمكن أن تنطلق من أرضية ثابتة، بل من وعي بمرونة هذا الحقل وسياقه المتحوّل باستمرار.

ولأن النقد موضوع إشكالي بامتياز، فإنه يتشكل ضمن شبكة من الحقول المعرفية المتفاعلة، كالفلسفة، وعلم الجمال، واللسانيات، والسوسيولوجيا، وعلم النفس، وسيميائيات الثقافة. منها يستمد مفاهيمه وأدواته. ووجوده المعرفي يتنافى مع الانغلاق، إذ الممارسة النقدية لا يمكن لها أن تتأتى داخل بنية معزولة أو نسق صارم ، بل ضمن تمفصلات متعددة، . وفق هذه الرؤية فإن النقد لا يمكننا توصيفه توصيفا علميا خالصا، لأنه خطاب متلون بمرجعيات الخطابات المتاخمة له . إن اقتران النقد بحقل الأدب يساهم في انفتاح أفقه على تمثلات ثقافية أوسع، تُنتجها الثقافة على اعتبار أنها الحقل الجامع الذي تنتظم مجموع القيم، والأنساق الرمزية. وعليه النقد بهذا المعنى هو ممارسة فكرية محكومة بشروط التفاعل المعرفي والتداخل الدلالي.

إن طبيعة حقل النقد تجعله غير مسنود إلى قوانين ثابتة ، أمام قيامه على استراتيجيات متغيرة، بحسب تغير المرجعيات الفكرية والمنهجية التي يتبناها النقاد . على الرغم من ذلك لا يمكن للممارسة النقدية أن تُمَارس في الفراغ ، حيث نلفيها تخضع لمجموعة إجراءات تمثل القواعد الداخلية بالرغم من نسبيتها، فهي التي تنتظم داخل أطرها الممارسة النقدية والتي تختلف باختلاف المنهج النقدي. من هنا يمكننا القول

جازمين إن النقد الأدبي لا ينهض على صرامة القانون بالمفهوم العلمي ، بل يتأسس على "منظومات منهجية"، تتفاوت بحسب درجة صرامتها وانفتاحها ، كما يخضع أيضا لأفق التلقي المحكوم بمرجعيات القارئ / الناقد

إن الوعي بما يميز النقد هو عينه ما يسهم في تطور الفكر النقدي، إذ يتحول النقد من مجرد اعتباره وسيلة لفهم وتفسير النص الأدبي إلى التعاطي معه بوصفه خطابا يمتلك شروطه وسياقاته الخاصة (حمودة، 2001، صفحة 19). خاصية هذا التحول أنه لا يتحقق إلا بما راكمه ضمن مساره التاريخي بدءا من الكلاسيكيات المنشغلة بالمعايير الجمالية والبلاغية، إلى المرحلة الحديثة التي انكفأ فيها النقد على مراجعة مفاهيمه وتصوراته .فتغيرت إثر ذلك الأسئلة المنهجية للنقد، فمن الاهتمام بما يقول النص إلى الاشتغال على القارئ وأفقه وعلى كيفية قراءة النص.

لدى هذا التبلور في وظيفة النقد لم تعد تقتصر هذه الوظيفة على مجرد تفسير النصوص وتحليلها ، بل انزاحت نحو وظائف متباينة معرفية وثقافية، فعّلت دور المتلقي وأعادت صياغة تصور الأدب وأعادت رسم حدود الأنساق المتاخمة له. إن التعاطي مع النقد كممارسة تأويلية جعلته يتخطى تبعيته للنصوص الأدبية ويُقذَف به بقوة نحو إنتاج المعنى، والتأسيس للذاكرة الثقافية، وتفكيك الأسئلة الكبرى التي تطرحها المجتمعات عبر تمثلاتها الأدبية.

إن تحول النقد من الوظيفة التفسيرية إلى الوظيفة المعرفية يأتي نتيجة قابلية الأدب للتأمل الفكري من حيث كونه المجال الأخصب للتعاطي مع القضايا المجتمعية والإنسانية وتفكيك الحقول الثقافية وما تنطوي عليه من رموز . وهو بذلك يُعيد تشكيل المعرفة بالنص، استنادا إلى ما تطرحه الأطر النظرية من إمكانات للقراءة المختلفة . وعليه ، فإن النقد لا تنحصر وظيفته في تحليل النصوص، بل يُسهم في صناعة المعنى، وبلورة الأفق المعرفي والثقافي الذي تنتمي إليه المجتمعات.

هذا الوعي الذاتي المتنامي أفضى إلى نشوء نقد النقد، كخطاب يحاول إعادة النظر في تاريخ النقد، وتقويم مساراته، والكشف عن لاوعي الخطابات النقدية، واستبطان تناقضاتها وأعطابها. ومن هنا، يُفهم نقد النقد كتتويج لحركة تاريخية داخل النقد نفسه، أرادت أن تمنح هذه الممارسة شرعية معرفية، وتُعيد ضبط أسئلتها وفقا لمتغيرات الحقول المعرفية المجاورة، كالفلسفة، والتحليل الثقافي، والسيميائيات.. (إبراهيم، 1992، صفحة 19). وسيكون مدخلنا لنقد النقد من هذه البوابة التي تعلقت بالنقد كأرضية لانبثاق حق معرفي تأويلي يعكف على مساءلة الأطروحة النقدية مساءلة نقدية تحفيزا لها لتجديد ذاتها .

2. نقد النقد: موضعه، طبيعته، ومنطلقاته المفاهيمية:

ظهر مفهوم نقد النقد في سياق تحوّلات معرفية كبرى مست الحاجة إلى مراجعة المقولات والآليات التي اعتمدها النقد الأدبي في تعامله مع النصوص. وقد برز هذا المفهوم بداية بوصفه حاجة منهجية داخل المؤسسة النقدية نفسها، ووسيلة لتقويم الممارسة النقدية من الداخل، قبل أن يتحوّل إلى خطاب قائم بذاته يمتلك مفاهيمه وأدواته ومرجعياته الخاصة.

في المنطلق، كان نقد النقد أشبه بفعل تقويمي موجّه لبعض النتاجات النقدية، تصحيحا لمسارها أو إضعافا لمقولاتها. لكنه سرعان ما تطوّر في الفكر الغربي، خصوصا مع ظهور تيارات ما بعد البنيوية، إلى شكلٍ من التحليل الميتانقدي (meta-critique)، الذي لا يكتفي بالحكم، إنما يسعى إلى تفكيك البنية الخطابية للنقد ذاته، وهو ما أسست له كتابات رولان بارت، وميشال فوكو، وبول ريكور، وجاك دريدا...

في السياق العربي يتركب المفهوم من كلمتين هما في الأصل كلمة واحدة. و مما يضاعف التباسه التباس كلمة النقد في حد ذاتها ، ليصبح الالتباس مزدوجا . وقد بدأت على المستوى العربي ملامح نقد النقد تتبلور عبر التدرج بداية من مرحلة الإرهاص، وهي مرحلة بدأت أواخر

القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين ولعل كتاب "في الشعر الجاهلي " لطه حسين يعدّ أول مشروع يؤسس عمليا لنقد النقد ، بعيدا عن توظيف المصطلح .متبوعا بعباس محمود العقاد الذي وظف المصطلح صراحة في بداية ديوانه "بعد الأعاصير". حيث يرى العقاد أن لا مفر له من "نقد النقد" . وتأتي مرحلة التأسيس، وإن كانت لم تحسم بعد في موضوعها وغايتها تماما فإنها على الأقل مرحلة امتلكت الوعي بنفسها، حيث أصبح نقد النقد مطلبا مهما وضرورة لا بد منها . يقول أدونيس :"نقد القراءة هذه مسألة تكاد تكون غائبة عن مجال اهتمامنا الأدبي ، وفي ظني أنها قضية أساسية ملحة لا بكونها نوعا من نقد النقد فحسب ،بل إن للقراءة أيضا جمالية خاصة تفقد –حين تفقدها – جدواها وقيمتها." (أدونيس، 1985، صفحة 49) .

و في سبعينيات القرن العشرين، و في إطار محاولات تحديد الخطاب النقدي، ارتبط نقد النقد في الغالب بأسماء سعت إلى مساءلة البنية المفهومية للنقد العربي التقليدي، مثل عبد السلام المسدي، وعبد الفتاح كيليطو، وصلاح فضل، وعبد الله الغذامي، وغيرهم.. وقد اتخذ في هذا السياق صيغا متعدّدة، تارة في شكل تفكيك للمناهج الوافدة، وتارة أخرى في صورة مساءلة للنقد العربي حول صلته بالتراث، أو علاقته بالسياق الثقافي والاجتماعي..

واليوم، بات نقد النقد يشكّل حقلا معرفيا هجينا ومفتوحا، يتقاطع مع مجالات معرفية متعدّدة، كالسيميائيات، ونظرية الخطاب، والإبستيمولوجيا، والدراسات الثقافية. وهو لم يعد يُنظر إليه كفعل تقويمي ثانوي، بل أصبح آلية لتفكيك البُنى المعرفية والإيديولوجية التي تؤسس للخطابات النقدية، وتوجّهها، وتكسبها شرعيتها في الحقل الأدبي والثقافي.. وهكذا، فإن حركة نقد النقد منذ ظهوره إلى اليوم تعكس تطور الوعي النقدي بذاته، وتُعبّر عن رغبة متنامية في التأسيس لوعي نقدي مركّب، لا يكتفي بتأويل النصوص، بل يتجه أيضا إلى تأويل تأويلها..

إن "تردد مصطلح نقد النقد " في عدد من الخطابات النقدية والتنظيرية خلال العقود الخمسة السابقة يدلّ على ولادة وعي جديد، يسعى إلى التفريق بين "النقد" بصفته موضوعا و"نقد النقد" بصفته فعلا يختبر لك الموضوع ويدرسه و لايقول بوجود تطابق بينهما (الدغمومي، 1998، صفحة 113). إذن في سياق الحديث عن النقد بوصفه خطابا متشعبا ومنفتحا ، يبرز "نقد النقد" كمرحلة متقدمة من الممارسة التأملية، يتوجه فيها التفكير النقدي نحو ذاته، من خلال مساءلة آلياته، واختياراته المنهجية، وخطاباته، ومفاهيمه.

ويتموضع نقد النقد في نقطة تقاطع بين التحليل المعرفي والمساءلة الفلسفية، إذ لا يكتفي بقراءة النصوص الإبداعية، بل يقرأ القراءات، ويُحلل الأفق المعرفي الذي تتحرك فيه الممارسة النقدية نفسها .وإذا كان النقد يتعامل مع النص الأدبي بوصفه موضوعا ، فإن نقد النقد يجعل من "النقد" نفسه موضوعا للمعاينة ، وهو ما يجعل منه شكلا من **الميتانقد** (Meta-criticism)، ينزع إلى تقييم وتفكيك الأسس التي تُبنى عليها الخطابات النقدية السابقة، سواء من حيث التصورات الجمالية، أو الخلفيات الإيديولوجية، أو الأدوات المنهجية (حمودة، 1998، صفحة 95) ويعرفه جابر عصفور بـ :" إنه نشاط معرفي ينصرف إلى مراجعة الأقوال النقدية ،كاشفا سلامة مبادئها النظرية وأدواتها التحليلية وإجراءاتها التفسيرية " (عصفور، 1992، صفحة 20).

تتعدد منطلقات نقد النقد، باختلاف المرجعيات المعرفية التي ينتمي إليها، فقد ينطلق من تصورات فلسفية كالنقد التفكيكي أو التأويلي، أو من آفاق منهجية كالسوسيولوجيا النقدية أو التحليل الخطابي. لكن جوهره يظل مرتبطا بوعي مزدوج: وعي بالنص ووعي بالقراءة. وفي هذا السياق، يرى عبد الفتاح كيليطو أن "نقد النقد هو فعل مزدوج: إنه قراءة لقراءة، تستدعي ثقافة نقدية، وأفقا تأويليا، ونظرا مزدوجا يعبر النص والقراءة معا" (كليطو، 1987، صفحة 30).

أما من حيث حدوده واستراتيجياته، فغالبا ما يتخذ شكلا جدليا أو حواريا ، يتقاطع فيه التحليل والتأويل والتفكيك، دون أن يدّعي امتلاك الحقيقة النهائية. إنه ليس حكما على النقاد، بل حوار معرفي معهم، يتجه نحو اعتبار نقد النقد إشكالا إبستمولوجيا دقيقا يتعلق بطبيعته وهويته المعرفية، فهل نحن بإزاء مجال علمي قائم بذاته، له مفاهيمه ومناهجه وأهدافه الخاصة؟ أم أن الأمر لا يتعدى كونه نشاطا تأمليا فرعيا، يتطفل على الخطاب النقدي دون أن يمتلك استقلالا بنيويا مثله مثل النقد ؟

في الواقع يتموضع نقد النقد في منطقة وسطى، فهو ليس علما مستقلا وفق المعايير الأكاديمية الصارمة، كما هو الحال في اللسانيات أو السيميائيات، لكنه في الوقت نفسه يتمايز عن النقد العام بتركيزه على الخطاب النقدي ذاته موضوعا للتحليل والتفكيك، وليس النصوص الأدبية وحدها. نقد النقد إذن هو نشاط معرفي متخصص، لأنه يسلك سلوكا منهجيا تأمليا عالي الوعي، يُعيد مساءلة شروط إنتاج النقد، ويكشف عن مكوناته النظرية، وتوجهاته الإيديولوجية، وخلفياته الثقافية. يقول الناقد المغربي عبد الفتاح كيليطو في هذا السياق: "نقد النقد ليس انتماء ، بل يقظة، وهو لا يقيم في مكان ثابت، بل يتحرك داخل منطقة الانتباه إلى ما يفعله الناقد حين يكتب (كليطو، 2002، صفحة 15). وقد جاء ذلك كله ليعزز طرح مفهوم لـ: "نقد النقد" يرتقي به إلى درجة الكيان المعرفي بين كيانات العلوم الإنسانية وليغدو نقد النقد خطاب تحقيق يستهدف " تفكيك النص النقدي من أجل إعادته إلى عناصره المشكلة له وتبيين العملية التي أنشئ من خلالها في محاولة جادة لتحديد الذهنية التي أنتجته." (اصطيف، 1983، صفحة 164).

عطفا عليه يتحول نقد النقد إلى " نشاط غير جديد بالمرة ، وقد رافق كل مراجعة للنقد وللأفكار الأدبية ، وقد كان لاحقا بالنقد ومندمجا فيه في أكثر الأحيان ،إلا أنه أصبح في الفترة الحديثة يتساءل عن نفسه تعبيرا عن حاجة فرضها تطور النقد والنظريات الأدبية والممارسة الابستيمولوجية في حقل العلوم الإنسانية وتمثلا لما تفرضه كل إبستيمولوجية عامة أو قطاعية ." (الدغمومي، 1999، صفحة 50).

يسعى نقد النقد داخل الحقل النقدي نحو التميز عبر إحداث تعديلات لأدوات الخطاب النقدي ذاته رغبة في بلوغ الضبط المفاهيمي والمنهجي للممارسة النقدية نفسها. ومن حيث كونه نشاط يتأسس على الوعي النقدي ، فالعمل داخل أطره يستوجب إحاطة عميقة للنصوص و للقراءات معا .

3. نقد النقد في امتداد تاريخ النقد الأدبي: من لحظة التفسير إلى لحظة المساءلة

يعدّ نقد النقد امتدادا نوعيا داخل تاريخ النقد الأدبي، بمعنى آخر هو يمثل مرحلة متقدمة من وعي النقد بذاته نشأ في صميم العملية النقدية وليس على هامشها ، متخطيا التفسير والتحليل إلى المساءلة والتقويم والتفكيك ،إنه ممارسة دائمة ، و مراجعة مستمرة لذاكرته النظرية ومناهجه ومقولاته. فالانتقال من النقد الكلاسيكي ذي الطابع المعياري، إلى النقد الحديث المرتكز على المناهج، ثم إلى النقد الثقافي والانفتاح على الخطابات، عمق الوعي النقدي ، وجعل النقاد يُراجعون أدوات قراءة النصوص وخلفياتها.

عطفا عليه ، نقول إن نقد النقد متشابك مع صيرورة النقد التاريخية ، نشأ من تراكم الخبرات وتولد عن الأزمات المنهجية والمفاهيمية التي وصلت إليها المناهج النقدية التي أثبتت قصورها في الإحاطة بالقضايا الإنسانية . وهو في توجهه هذا يسعى إلى تمحيص الخطاب النقدي وتفكيك مكوناته. ما يدل على أن نقد النقد ليس لحظة قطيعة، بل لحظة وعي تاريخي بالنقد داخل ذاته.

وعليه، فإن نقد النقد هو سليل تاريخ النقد، من صلبه نشأ ليعيد تشكيل ذاته وتطويرها ، ومن ثم فإن التأريخ للنقد وتحقيبه بقدر ما يكون قراءة يكون تأويلا . وكل تأويل للماضي يعني استعادته في ضوء أسئلة الحاضر وحاجاته ،وإعطاؤه معنى يناسب الموقع التاريخي سواء أكان معنى إيجابيا مفيدا أم كان معنا سلبيا يجب إقصاؤه . (الدغمومي، 1999، صفحة 56/55).

4. مرجعيات نقد النقد

يستند نقد النقد على الكثير من المرجعيات المعرفية والفكرية، أبرز هذه المرجعيات:

أ. **المرجعية الفلسفية**

يُعدّ التفكير الفلسفي من الركائز الأساسية التي يستند إليها نقد النقد، خاصة من خلال المقولات المتعلقة بالمعرفة، والحقيقة، والمنهج، والخطاب، والسلطة. وقد تأثر نقد النقد في هذا الجانب بالفكر الفلسفي المعاصر، لا سيما لدى مفكرين من أمثال **ميشال فوكو** (في تحليله لأنساق الخطاب)، و**بول ريكور** (في تأويل النص والخطاب)، و**جاك دريدا** (في التفكيك) (الدغمومي، 1999، صفحة 90).

ب. **المرجعية السيميولوجية واللغوية**

باعتبار أن النقد الأدبي يشتغل على النصوص والخطابات، فإن نقد النقد يستدعي أدوات التحليل السيميولوجي واللساني لتفكيك الخطاب النقدي ذاته. وقد استفاد في هذا الإطار من تصورات رولان بارت وتودوروف وغريماس وباختين، من حيث التعامل مع النقد كنص له بنية دلالية وقيمة تداولية (الدغمومي، 1999، صفحة 106).

ت. **المرجعية الثقافية والإيديولوجية**

لا يمكن لنقد النقد أن يتجاهل السياقات الثقافية والاجتماعية التي يُنتج فيها الخطاب النقدي، لذلك ينفتح على مرجعيات نقدية كبرى مثل النقد الثقافي ونقد الخطاب، بهدف فهم البُعد الإيديولوجي للخطابات النقدية، ورصد تمثلات السلطة والمعرفة والهويات فيها.

ث. **المرجعية التاريخية**

يستند نقد النقد إلى معرفة دقيقة بتاريخ النقد الأدبي، وتحول مدارسه واتجاهاته ومناهجه. فهو يعيد قراءة هذا التاريخ لا بوصفه سلسلة تطورات خطية، بل باعتباره مجالا للصراع والتداخل والقطائع. وهذه المرجعية تُمكّنه من تأريخ الخطاب النقدي عبر تمفصلاته ومنعطفاته.

5. متن نقد النقد: الخطاب النقدي بوصفه موضوعا للفحص والتحليل:

لا يُعنى نقد النقد بالنصوص الإبداعية بشكل مباشر، بل يتخذ من الخطابات النقدية السابقة موضوعه المباشر. فالمتن هنا لا يتمثل في النص الأدبي شعرا أو نثرا ، بل فيما كتب من مادة نقدية عن هذه النصوص ، باختصار نقول إن نقد النقد يهتم بما كُتب من نقد عن الأدب، ويقوم نقد النقد على تحليل هذه النصوص من خلال مساءلة مرجعياتها، ومعاينة استراتيجياتها في القراءة، وتوصيف أدواتها المنهجية، ولغتها الخطابية،. وعليه يأتي الانشغال في نقد النقد بالقراءة وطبيعتها وليس بالنص الأدبي بوصفه جنسا .

ويمكن التمييز هنا بين نوعين من المتون في نقد النقد:

أ. **متن نظري** :يتجسد في الكتب والمقالات التي تقدم تنظيرات أو تصورات حول مفهوم الأدب، الجمال، المنهج، القراءة، مثل أعمال الشكلانيين الروس، أو البنيويين الفرنسيين، أو التفكيكيين.

ب. **متن تطبيقي** :يتجسد في الممارسات النقدية التي تقرأ الأعمال الأدبية، وتطبق مناهج معينة، مثل القراءات البنيوية للرواية أو التحليلات النفسية للقصيدة، وهذه تشكّل مادة غنية لنقد النقد، لأنها تكشف كيفية توظيف المنهج وتفعيله داخل النص النقدي.

وعليه لن يُمارَس نقد النقد من خارج النصوص، بل من صلبها، من خلال تفكيك آليات اشتغال الخطاب النقدي ذاته، ومساءلة منطقه الداخلي، وتمثلّاته عن النص، والقارئ، على نحو ما أشار جيرار جينيت، يقول : "نقد النقد هو لحظة يتأمل فيها الناقد في فعله الخاص، وفي الفعل النقدي بوصفه نمطا من أنماط الخطاب"**(Genette, 1996)** .

و نتساءل في هذا المقام عن الأدوات والآليات في نقد النقد وسبل تفكيك الخطاب النقدي من الداخل؟

يعتمد نقد النقد على مجموعة من الأدوات والآليات المنهجية التي تتيح له فحص الخطاب النقدي وتحليله تفكيكيا وتأويليا. فإذا كان النقد التقليدي يوظّف مناهج لقراءة النصوص الأدبية، فإن نقد النقد يوظّف مناهج ميتا–نقدية لتحليل كيفية اشتغال تلك المناهج داخل الخطابات النقدية نفسها، كاشفا عن بنياتها المعرفية، وتصوراتها الجمالية، ومنطلقاتها الإيديولوجية.

من أبرز هذه الأدوات:

أ. **التحليل الخطابي**:(**Discourse Analysis**) يُعد من الأدوات الأساسية في نقد النقد، لأنه يمكّن الناقد من تتبّع بنية الخطاب النقدي، وتفكيك مكوناته اللغوية والبلاغية، وطريقة تشكّله وتقديمه للحجج والمفاهيم. فالناقد هنا لا يسأل: "ما هو مضمون هذا النقد؟" بل: "كيف بُني هذا النقد؟ من أي موقع معرفي؟ ونعرّفه بأنه " :دراسة كيفية إنتاج المعنى داخل الخطابات، انطلاقًا من السياق التداولي والثقافي والاجتماعي، مع التركيز على ما تطرحه اللغة من سلطة رمزية وأبعاد أيديولوجية." (الخطيبي، 1980، صفحة 45)

ب. **التفكيك هو** ": (**Deconstruction**) استراتيجية نقدية تهدف إلى مساءلة البنى الفكرية واللغوية التي تبدو مستقرة في النصوص، من خلال الكشف عن تناقضاتها الداخلية، وتبيان أن المعنى ليس ثابتا أو مغلقا ، بل يتولد باستمرار من خلال علاقات الاختلاف والتأجيل (دريدا، 1986، صفحة 41)" . ويقوم نقد النقد هنا بمساءلة الخلفيات الفلسفية والمنهجية التي تؤطر الخطاب النقدي، من خلال صياغة أسئلة حول كيفية ترجمة هذه المرجعيات إلى أدوات، وحول درجة الوعي النقدي بمصادرها.

ت. **التحليل المقارن** ،" منهج نقدي يقوم على المقارنة بين عنصرين أو أكثر من الظواهر أو النصوص أو الخطابات، بهدف الكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بينها، وتحليل العلاقات التي تربطها في أبعادها الجمالية، الفكرية، أو الثقافية." (شوقي، 1990، صفحة 11)

ث. **تحليل النسق الإيديولوجي**: يستحضر نقد النقد السياق الثقافي والسياسي الذي يُنتج فيه الخطاب النقدي، ويعمل على ربط الممارسة النقدية بموقعها داخل بنية السلطة والمعرفة.

وبهذا، فإن نقد النقد لا يعتمد منهجا واحدا ، بل يُركّب بين المناهج، وينهض على وعي نقدي متعدد الأدوات، متحررا من الانغلاق المنهجي، لكنه مشروط بدقة القراءة وصرامة التحليل.

6. وظائف نقد النقد في الحقل النقدي

يعد نقد النقد أداة لتجديد الفكر النقدي ناهيك عن الدور الذي يتصدى له، والمتعلق أساسا بمساءلة الخطاب النقدي من الناحية المعرفية والمنهجية. و يمكننا تعداد أبرز الوظائف فيما يلي:

أ. **التقويم المعرفي والمنهجي للنقد** :

تنهض استراتيجية نقد النقد على تقويم دقيق للخطابات النقدية، من خلال الوقوف على مدى اتساقها الداخلي، ودقة مفاهيمها ونجاعة آلياتها. فهو يعيد مساءلة النقد من حيث هو خطاب له ممارساته، كاشفا عن درجة الانسجام بين التنظير والإجراء .

ب. **تحفيز عملية النقد الذاتي**

يعمل نقد النقد على ترسيخ وعي نقدي ذاتي لدى النقاد، لدى صياغة أطاريحهم والتنظير لها . إذ يصبح المنظّر أمام مسؤولية إعادة النظر في الأسس والمرجعيات والمفاهيم والإجراءات .

ت. **المساهمة في بناء تاريخ الفكر النقدي:**

إن سعي نقد النقد إلى تفكيك الخطابات النقدية عبر التاريخ ، هو إسهام منه بطريقة غير مباشرة في إعادة كتابة تاريخ النقد بطريقة أكثر علمية ، تقف عند لحظات تحوله، وتكشف عن مواطن أزمته، أو نقاط تطوره.

ث. **إعادة صياغة المفاهيم والمناهج**

بفضل مساءلته الدائمة للمفاهيم والأدوات والآليات، يُعيد نقد النقد إنتاج بعض المفاهيم المركزية في الحقل النقدي (مثل: النص، المؤلف، التأويل، الجمالية، السلطة، إلخ)، مختبرا مدى راهنيتها وقابليتها للتطبيق.

ج. **بناء حوار بين الاتجاهات والمدارس النقدية**

حين يُقارن نقد النقد بين خطابات نقدية تنتمي إلى مرجعيات مختلفة ، فذاك إسهام منه في تحريك حوارية خصبة قائمة على التفاعل بين الاتجاهات النقدية .

7. معوقات الانتظام في خطاب نقد النقد

رغم الوعي المتزايد بأهمية نقد النقد كخطاب يُفترض أن يؤسس لمرحلة ميتانقدية في الحقل الأدبي، إلا أن هذا المسعى يواجه عدة مثبطات تحول دون انتظامه في نسق منهجي متماسك. وتتمثل في :

أ. **غياب التصور الموحد للمفهوم:**

يعاني خطاب نقد النقد من تشتت دلالي واصطلاحي، إذ لم يتبلور كمفهوم إجرائي واضح المعالم، بل يراوح بين كونه نشاطا تقويميا ، أو ممارسة ميتانقدية، أو خطابا تحليليا لبنية الخطاب النقدي نفسه. هذا التعدد في التصورات يجعل من الصعب توحيد أدواته ومنطلقاته، ويُضعف من قدرته على التحول إلى حقل معرفي مستقل.

ب. **الطابع التجميعي والهجين:**

يتقاطع نقد النقد مع علوم ومعارف متعددة، كالإبستمولوجيا، وفلسفة اللغة، وسوسيولوجيا الأدب، ونظرية المعرفة... دون أن يمتلك منهجيته الخاصة. هذا الطابع الهجين وإن كان مصدر غنى، إلا أنه يفضي أحيانا إلى الانتقائية المنهجية، ما يعيق تماسك الخطاب ويؤدي إلى تفككه المعرفي. (الدغمومي، 1999، صفحة 300)

ت. **الخلط بين مستويات التحليل:**

يواجه الخطاب الميتانقدي صعوبة في التمييز بين مستويات تحليل النصوص النقدية، هذا الغموض يؤدي إلى عدم وضوح في مستويات الاشتغال داخل خطاب نقد النقد .فـ"الخطاب الميتانقدي يجد نفسه في مواجهة حرج المنهج: أهو يشتغل على الخلفيات المعرفية للنقد أم على آلياته الإجرائية؟ أهو مساءلة للمقولات النظرية أم تفكيك للتمثلات الجمالية؟" (مفتاح، 2005، صفحة 18)

ث. **الإحراج الإبستمولوجي داخل المؤسسة النقدية:**

يمارس نقد النقد نوعا من التشكيك في شرعية المؤسسة النقدية ذاتها، مما يجعله خطابا غير مرحّب به دائما، ويُنظر إليه في أحيان كثيرة على أنه انشقاق أو نقض ذاتي .هذا الإحراج المعرفي يجعل الخطاب غير مستقر، تتذبذب حدوده بين الطموح في التنظير والخوف من نقض المرجعيات.

وبناء على هذه المعوقات، يمكن القول إن خطاب نقد النقد ما يزال يعاني من أزمة التأسيس، ويحتاج إلى مزيد من الجهود النظرية والمنهجية ليكتسب شرعيته كحقل علمي واضح المعالم، قادر على تقديم أدواته الخاصة ورؤية منهجية منتظمة لتحليل الخطاب النقدي.

خاتمة :

إنّ تحليل خطاب نقد النقد يسمح لنا بإدراك حجم التحول في تصور الفعل النقدي ذاته، إذ لم يعد يُنظر إلى النقد الأدبي كممارسة تفسيرية خالصة، أو كجهاز منهجي يقف عند حدود تأويل النصوص، بل أصبح مجالا لمساءلة المعرفة النقدية ذاتها، وتفكيك مرجعياتها الثقافية والإيديولوجية. وهنا تتجلّى أهمية نقد النقد بوصفه ممارسة معرفية تهتم بتفكيك الخطابات، ومراقبة آلياتها، وتحليل أنساقها المضمرة والمعلنة.

لكن ورغم هذا الطموح النظري العالي، لا يزال نقد النقد يواجه صعوبات بنيوية ومعرفية تعيق انتظامه كحقل علمي مستقل؛ فهو يتأرجح بين الطابع التأمّلي والطرح الإشكالي، ويواجه غموضا في تحديد مجاله المفاهيمي، وتضاربا في منطلقاته المنهجية، بالإضافة إلى اعتماده على أدوات ومفاهيم مستعارة من مجالات أخرى دون بلورة جهاز مفهومي خاص به.

ولعل التحدي الأبرز لنقد النقد هو غياب الجدل النقدي المنظم بين النقاد، وضعف المؤسسات البحثية المتخصصة، والنزعة الفردية في الكتابة النقدية، مما يؤخر تأسيس مدرسة عربية في نقد النقد. كما أن التوتر الحاصل بين البعد المعرفي للنقد والبعد الذوقي أو الانطباعي يطرح إشكالات أخرى على مستوى الممارسة والتلقي.

لقد أضحت اليوم الحاجة ملحة إلى تطوير هذا الحقل بمراكمة إنتاج نقدي ، عبر تشجيع البحث النظري، وتوسيع آفاق التحليل النقدي، والانفتاح على مناهج العلوم الإنسانية، حتى يتحوّل نقد النقد من ممارسة فردية غير مؤسسة ، إلى خطاب علمي متكامل يسهم في الارتقاء بالمؤسسة النقدية والأدبية على السواء.

المصادر والمراجع :

1.أدونيس، 1985، سياسة الشعر، دراسات في الشعرية العربية المعاصرة، ط1 ، دار الآداب، بيروت.
2.إبراهيم عبد الله، 1992، السردية العربية الحديثة – الأبنية السردية والدلالية ، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء.
3.أصطيف عبد النبي، 1983، نحو تحديد المفهوم النقدي، مجلة مواقف، العدد 48/47 .
4. عبد الكريم الخطيبي ، 1980 ، في الكتابة والتجربة: ترجمة : محمد برادة ، دار العودة ، بيروت .
5.برادة محمد، 1983، الكتابة والنقد: من التلقي إلى نقد النقد، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.
6.جاك دريدا، 1986، الكتابة والاختلاف ، ترجمة : كاظم جهاد، دار توبقال ، المغرب .
7.حمودة عبد العزيز، 2001 ، الخروج من التيه –دراسة في سلطة النص ، عالم المعرفة ، الكويت .
8.حمودة عبد العزيز،1998، المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيكية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.
9.الدغمومي محمد، 1999، ط/1، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، منشورات كلية الآداب، الرباط.
10.رضوان أحمد شوقي، 1990، ط/1 ، مدخل إلى الدرس الأدبي المقارن، دار العلوم العربية ، القاهرة.
11.عصفور جابر، 1992، قراءة التراث النقدي، دار سعاد الصباح.الكويت
12.كيليطو عبد الفتاح، 1987، الغائب: دراسة في مقامة الحريري، دار توبقال، الدار البيضاء.
13.كيليطو عبد الفتاح، 2002، لن تتكلم لغتي، دار توبقال، الدار البيضاء.
14.مفتاح محمد، 2005،ط/3، تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
المراجع الأجنبية .
Gérard Genette, Figures II, Seuil, 1996